ما يسوءك ، وانّ فى ادخال أداة التعريف على كلمة (بعض) فى البيت الثانى لخطأ لغوياً ما به من خفاء ، ومن العيوب البيّنة فى هذه القصيدة قوله :

أحسُّ قومى أنهّم أحرارُ غَيْرُ أعْبُد

منع كلمة (احرار) من الصرف وما هى كذلك . ومما يعجبك من أدب البكرى قوله :

وما أذّن القوم لمّا أقا ... ا صلاة الجنازة يوم الوفاة
وأُذّن للطفل يوم الولا ... د ، فهذا الاذان لتلك الصلاة !

وقوله :

النّاس يخشون من جاه المليك وما ... لديه لولاهمو فى مُلكه جاه
كصانعٍ صَنَماً يوماً على يده ... وبعد ذلك وجوه ويخشاه !

وقوله :

لا تعجبوا للظلم يغشى أمّةً ... فتنوء منه بفادح الاثقال
ظُلمُ الرعيّة كالعقاب لجهلها ... أَلَمُ المريض عقوبة الاهمال

القضية سواء فى قول البكرى وقول فيكتور هوجو : «لا يكون الحكام ذئاباً الا اذا كان الشعب من الخراف » .

رحم الله أغانا البكرى ، وجزاه عن الأدب خير الجزاء ما

احمد محرم

حافظ ابراهيم

أدبه ـ شخصيته

لست حين اكتب عن حافظ ابراهيم بالذى يطمع فى أن يوفيه حقه فان ذلك يتطلب وقتاً وبحثاً مستفيضين ، كما يتطلب توفراً على دراسته لا أدعيه . فكل الذى اريده بهذه الكلمة هو أن اذكر بعض ملاحظات عن أدب حافظ وشخصيته اكثرها قد علق بذهنى وقت أن كنت اسعد بمقابلة حافظ ابراهيم فيغمرنى بفيض حديثه العذب الممتع فيخيل الىّ اننى قد عرفت من شخصيته وادبه ما غاب عن الكثيرين ، وان كنت قد تبينت الآن — بعد أن مات حافظ وكتب فى موته كثيرون — ان الرجل كان هو هو فى حديثه معى ومع الآخرين .

ولا عجب أن ينظر اكثر الذين عرفوا حافظ واتصلوا به — لا عجب أن ينظروا اليه جميعاً نظرة واحدة لأن حديث الرجل كان مرآة نفسه فقد كان حافظ فى الحياة بوهيميا لايعرف المداراة ولا يعرف الرياء ولا يعرف الدسّ . ومن كان هـذا شأنه فانك تعرف نفسه وشخصيته من غير كبير عناء .

حسن الجداوى

لقد كان حافظ يعتبر نفسه اشعر شعراء العربية فى هـذا العصر ويقول ذلك ، وكان يعرف كيف يلقى شعره وكيف يسبغ عليه من مقدرته على الالقاء رواء قد لا تجده فيه اذا ما أعدت قراءة القصيدة فيما بينك وبين نفسك ، فكان يجد من تشجيع جمهور السامعين لقصائده وكثرة ما يعيدون أمامه من طلب تكرار البيت مرة ومرات ما يزيد اعتقاده رسوخاً فى كفايته ونبوغه، بيد انى من الذين يعتقدون أن حافظاً لم يكن مخطئاً كثيراً فى تقديره لنفسه .

قابلته بعد المهرجان الذى أُقيم لشوقى مباشرة ، وكنت قد قرأت قصيدته التى قال فيهـا :

أميرَ القوافى قد أتيتُ مبايعـاً وهذى وفودُ الشرق قد بايعتْ معى

فقلت له : لمَ هذه المبايعة العلنية ؟ فقال : أمّـا هذه المبايعـة فكانت فرضاً محتوماً وقد جاءت وفود من البلاد الأخرى تبايعه وما كان يمكن أن تتخلف مصر . فقلت : وعلى رأسها زعيم شعرائها ؟ فقال : أنت الذى تقولها ... ثم أخـذ يحدثنى عن شوقى وعن أن شوقى اشعر الشعراء بغير شك وعن انه سما فى الشعر الى أوج لم يسم اليه شاعر قبله ، كل ذلك فى غير رياء ولا تصنع وقد كنا وقت ذلك منفردين فى حديقة الاسماك، والرجل يعرف عنى انى لست من اصدقاء شوقى .

فما كان فى حاجة لأن يتصنع ، ولعله قد تأثر من كثرة ما سمع من مديح الشعراء لشوقى أيام المهرجان أو لعله حفظ لشوقى أن تقدم وعانقه حين ألقى بقصيدته فنسى ما بينهما من منافسة ربع قرن كامل ! على اننى لا اذكر اننى تذوقت قصيدة شوقى فى ذكرى كارنارفون بمثل ما تذوقتها حين أخذ حافظ يتلو على هذين البيتين :

أفضى الى ختم الزمان ففضّه وحبا الى التاريخ فى محرابه
وطوى القرون القهقرى حتى أتى فرعون بين طعامه وشرابه

وهو يفسر ما فيهما من معانٍ ويقول إنه لو لم يكن لشوقى غيرهما لكفاه ذلك مدحاً وقد ظلت المنافسة قائمة بين شوقى وحافظ — وان شئت الحق فقل بين شوقى واتباعه وحافظ وانصاره — وكان ما يأتيه اتباع شوقى يثير ضحك حافظ واستهزاءه ولكنه كان يثور ويغضب ويهدر حين يعتقد أن شوقى نفسه امتنع عن الحضور فى حفلة هو من شعرائها أو اشترط عدم حضور حافظ ليبعث هو بقصيدته ، وكان يقول فى كثير من المرارة : شوقى لا يريد أن يذكر اسمى بجوار اسمه مع ان لنا ثلاثين سنة والناس يقولون شوقى وحافظ كما يقولون زفتى وميت غمر وسميط وجبنه . . . وحافظ هجاء مقذع فى هجائه ، ولكنه ما كان يذكره الا لاخصائه . . . على انه كان ينظر الى الغمس فى الهجاء نظرة العرب لا النظرة الحديثة ، اى انه كان ينظر اليه كتفكهة لا كشتم واساءة أدب . . ومن ظريف قوله عن عدوين له ، والاشارة هنا يفهمها الاخصاء : —

لى عدوان لم يناما عنى وقد نامت الخطوب
. . . كله ثقوب ومدمن كله عيوبُ

وكان حافظ بوهيمياً فى ملبسه وفى معيشته . سكن فى أيامه الاخيرة الزمالك وكان ينزل يومياً ليجلس بقهوة نيو بار بميدان الاوبرا فكان لا يذهب ولا يعود الا راكباً سيارة أجرة مع أن الترام يأخذه من أمام عتبة داره فينزله أمام القهوة مباشرة ! ولكنه كان يعنى بمأكله كأنه احد ملوك العرب القدماء ، وكان من تبذيره ان يشترى سيجاراً يتراوح ثمن الواحد منه بين الثلاثين والخمسين قرشاً . يفعل ذلك لانه متلاف للمال لم يفكر قط فى اكتنازه مع أنه بدأ حياته بائساً ، ومثله كان أولى به أن يستعز بالمال ولكن حافظ وان كان كثيراً ما شكا البؤس لم يمتدح الغنى فى وقت من الاوقات .

ولعل أظهر ما فى حافظ انه كان يحب ان يتكلم وكان يحسن التكلم ، حتى ان جلساءه كانوا يأبون على أنفسهم أن يقاطعوه . بيد انه هو نفسه كان لا يطيق ان يقاطع لا لأنه كان لا يحسن الاصغاء بل لانه كان يعرف عن كل موضوع يعرض الحديث له من البيانات والملح والطرف مايخشى ان ينساه او ما يريدك ان تستمتع به ، فكان يتلوها على السامعين الواحدة تلو الاخرى وهم بنشوة حديثه العذب مأخوذون يودون لو لم ينته الرجل من حديثه !

وكثيراً ما كانت لحافظ مداعبات قاسية مع جلسائه ولكنها كانت دائماً مما يستساغ ويُطرب له . زار بورسعيد فى يولية سنة ١٩٢٦ فأقام صديقى محرر (أبولو) واخوانه أدباء بورسعيد حفلة تكريم شائقة له فى الكازينو، كما نظموا له نزهة جميلة فى القنال . فلما جلس حافظ فى الزورق وجد أمامه الشاعر الاديب على افندى محمد الالفى فلم تعجبه صورته وأنشد على الفور مازحاً :

أباشادى ! أبا شادى ! لقد أكمدتَ حُسادى
ألم تنظرْ على الألفىّ مثل القردِ فى النادى !

فضحك الجميع وطربوا وأولعهم الشاعر الالفى. وقد وصف هذه النزهة وأحاديثها وصفاً بديعاً صديقى محرر (أبولو) فى ديوانه الزاخر « الشفق الباكى » (ص ٩٣٨) الذى كان من حظى الأدبى قيامى بنشره ، وفى نفس الديوان (ص٩٣٠) القصيدة العامرة التى أُلقيت فى حفلة تكريم حافظ .

وقد جارى حافظ النهضة الوطنية والعلمية والاجتماعية فى جميع أدوارها :

دعا الى ضم الصفوف ومقاومة الغاصب والاستعداد للقائه متحدين لامتنابذين، فهو شاعر دنشواى ، وشاعر وداع كرومر ، وشاعر النهضة الوطنية الظاهر والمستتر ، وقد دعا لانهاض اللغة العربية واحيائها ، ودعا الى الاحسان والمؤاساة ، ودعا الى كل ما هو خير لمصر وللمصريين .

وساير حافظ النهضة الادبية الحديثة ولكن فى شىء من التردد ، ولعل ذلك راجع الى متانته فى اللغة العربية ورغبته فى ان لا يفتح على نفسه باباً جديداً لنقد الجامدين من النقاد .

على ان حافظ قد مات وخلف ثروةً من الشعر القومى جديرة بأن تخلد . ولحافظ قصائد لم تنشر أعدها ولم تأت المناسبة لالقائها . ولقد أنشدنى مرة قصيدة جامعة عن الجامعة المصرية — قارن فيها بين جلالة الملك منشىء الجامعة وبين الفراعنة بناة الاهرام وفيها ويقول :

. . . . . أين بانى العلم من بانى الهَرَمْ؟
كل ما فيها على إعجازها انها قبرٌ لجبارٍ حُطم!

وهو فى الحق تقدير صحيح للأهرام جرأ هو على القول به .

فى ذمة الله ياحافظ وفى ذمة الخلود فقد تركتَ مصر التى قلت عنها .

فما انت يامصرُ دار الاديب ولا انت بالبلد الطيب
وكم فيك يا مصر من كاتب أقال اليراعَ ولم يكتب
ولكن مصر لن تغفل ذكراك ؟

حسن الجراوى